محاضرات في فقه اللغة العربية

المحاضرة التاسعة

المرحلة الأولى

اعداد

م.م. ميسرة عباس عبدالجبار

2 - انتظام أسماء المفعول في ظاهرة أسلوبية هي الدلالة على (العذاب الأليم) :

كذلك فإن بعض أسماء المفعول قد انتظمت في ظاهرة أسلوبية هي الدلالة على العذاب الأليم في جهنم بوصفها مكانًا هو المأوى والمثوى ، ومِنْ تتبعِ السياق العام للخطاب القرآني تبين لي أن أهل العذاب المقيم هم - على ما تدل تلك السياقات - : الكافرون ، والمشركون ، والظالمون ، والمنافقون ، والمكذبون ، والفاسقون ، وأعداء الله ، ومن أحاطت به سيئاته....

والتصوير القرآني يُظهِرُ أنهم فيها مهانــون ، أشقيــاء ، كالحــون ، متخاصمون ، يلعن بعضهم بعضًا . ومما جاء من أسماء المفعول مما يسهم في تصوير عالم العذاب والشقاء والإهانة أن أهل هذا العالم (ملعونون) قيل : اللعن هو الطرد والإبعاد على سبيل السخط ، وذلك من الله تعالى عقوبة في الآخرة . وقيل: مطرودون ، منفيُون .

ولاريب أن استجلاء دلالة هذه الصفة في السياق العام للخطاب القرآني يفيد في مقاربة حقيقة الدلالة ؛ فاللعنة فيه إنما تحل على القاتلين ، و الكافرين ، والظالمين ، والمنافقين ، والكاذبين ، وناقضي المواثيق ، والذين يؤذون الرسول ، و الذين يقذفون المحصنات ... (أولئك الذين لَعنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَن اللَّهُ فلن تَجدَ لَهُ نصيرًا) على هذا فإن النظرة المتكاملة إلى السياقين العام لمــادة (لعن) ، والسياق الخاص لـ (ملعونين) تدل على قيمة تعبيرية إيحائية تتجلى التكثيف الكامن في هذه الصفة (ملعونين). و أصحاب النار (مَحُجوبون) عن ربّهم ، وأهل العلم بالتفسير مختلفون في معنى الحجاب ؛ قيل : هو ما يَمنع من وصول لذة أهل الجنة إلى أهل النار وهي رؤية الخالق عز وجل ، وقيل: لا يرونه , والله لا يراه إنسان ولكن الحجب هنا معنوي مجسَّمٌ . كما وصف أهلها بأنهم من (المقبوحين) وهي صفة فيها إيحاء جعل أهل التأويل يقولون : أي من الموسومين بحالة مَنْكَرَةٍ ، وذلك إشارة إلى ما وَصف الله تعالى به الكفار من الرجاسة والنجاسة ، ومن سحبهم بالأغلال , يقال : قَبَحَهُ الله عن الخير، أي نحَّاه. وقال ابن عباس : من المُشُوّهين في الخلقة بسواد الوجه ، وزرقة العيون . و يلاحظ أن القرآن لم يستعمل من مــادة
(قبح) إلا هذه الصفة .

وقد يعبر باسم المفعول عن عقوبات متدرجة مضاعفة من المهانة التي تصيب مَنْ جزاؤه النار فهو يُلقى فيها: (ملومًا مدحورًا) ويصلاها : (مذمومًا مدحورًا) ، فمضاعفة المهانة ، أوحت بها مضاعفة الصفات ، وإن كانت شدة المهانة متقاو ته نسبيًا ؛ فذكر اللوم تنيبه على أنه إذا لم يُلَمْ لم يفعل فيه ما فوقه ؛ من الذمّ على ما أضاع من عهده ، ومن الدحر: بمعنى الطرد والإبعاد ، ومن تكبيل كثير منهم بالقيود : (وآخرين مُقرنِينَ في الأصفادِ) . و قيل : مذمومًا في نعمة الله ، مدحورا! في نقمة الله ، وقيل : مَلُومًا في عبادة الله مدحورًا في النار . فالتدرج وفق

تزايد الشدة يكون: اللوم ، فالذم ، فالدحر . ويلاحظ أن الخطاب القرآني قد اكتفى من هذه المواد بأسماء المفعول فقط .

والنار بوصفها مكانًا يضيف إلى العذاب عناصر أخرى تعزز الألم والمهانة ؛ ذلك أن عليهم نارًا (مؤصدة) أي : مغلقة مطبقة ؛ فلا ضوء فيها ، ولا فرج ، ولا خروج منها , وإذا كانت مؤصدة قد قرئت بتخفيف الهمز وتحقيقه ، وهما لغتان ، فإن اختيار الهمز له دلالته ؛ ذلك أن الهمزة حرف تفيل شديد وهو أثقل من الواو فاختيار الهمزة يناسب ثِقَلَ ذلك اليوم وصعوبته ، وشدته ؛ فإذا قال الشخص: (مؤ) كان كأنه يُعاني من أمر ثقيل.

وقد ذكر في أول سورة ة (الهُمزة): (ويل لكل هُمَزةٍ لمَزة) فدعا عليهم بالهلاك الذي لا ينقطع ، ورفْعٌ الويل يُفيد الثبوت ، فناسب الدلالة على الدوام أن يقول: (إنهَا عَلَيْهم مؤصدة فِي عمد ممددة) , للدلالة على الاستيثاق من غلق الأبواب .

صفوة القول :

- اضطلعت أسماء المفعول بقيم متعددة ، إبلاغيه ، تنبيهية ، إنذارية ، هدفها أهل الدنيا وإن كانت الأحداث تخص أهل الآخرة.

- سياق بعض أسماء المفعول الخاص يكثف السياق العام ، ويترابط معه ؛ كما في (ملعونين) ؛ وبعضها الآخر اقتصر في استعماله على سياق خاص ولا عام له ، كما في (ملومًا ومذمومًا ومدحورًا) فلم يرد من موادها شيء.

- تضافرت عناصر المتخيل والمنظور للدخول إلى عمق الأشياء والقيم المعنوية للكشف عما تعجز الحواس عنه.

- يمكن ربط دلالات أسماء بغير غرض من أغراض التعبير: منها أن اسم المفعول بما في بعضه من دلالة على الثبوت يتناسب مع العذاب المقيم الذي خُص به أهل النار؛ قال تعالى:(هِي حَسبهُمْ وَلَعنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) ، ومنها أنه جرى طَيُ ذ كر الفاعل حين استخدام اسم المفعول ربما للعلم به كما في (ملعونين) لأن الفاعل صرح به في مواضع أخرى كما في قوله تعالى : { إنَّ الله لعنَ الكافرين وأعدَّ لهم سعيراً } . وربما طُوِي ذكر الفاعل للإبهام كما الحال مع (المحجوبين ، والمقبوحين) .، بدليل أن كيفية الحجب ليست معلومة ، وأن حال المقبوحين ليست واضحة في أذهان المفسرين وربما طوي ذكرُهُ للدلالة على التعميم كما في (ملوم) ، فقد يقع اللوم من الله عز وجل ، ومن خزنة النار ، ومن الملومين أنفسهم ... ومن غيرهم .

- وربما طُوي ذكرُهُ مع أحداث العذاب والنقمة والغضب كما عرفنا من قبل في قوله : {غير المغضوب عليهم } ، وهذه ظاهرة أسلوبية فُسِّر بها طي ذكر الفاعل في كثير من الأفعال التي جاءت مبنية للمجهول ؛ ومنها : { أن يُفْعَلَ بها فاقرة } ، ولم يقل (أن نفعل بها) بإسناد الفعل إلى ذاته العلية ، لأنه لم يرد أن ينسب إيقاع هذه الكارثة ، وهذا الشرَّ المستطيرَ إلى نفسه كما هو شأن كثير من التعبيرات التي لا يَنْسبُ اللهُ السوءَ إلى ذاته العليّةِ .

مما تقدم يتضح أن اسم المفعول له في التعبير القرآني إسهامه الغني المؤثر في تقديم مشاهد العذاب المقيم الأليم ، كي يكون في ذلك عظة وعبرة وإنذارٌ لمن أراد أن يقي نفسه و أهليه نارًا وقودها الناس و الحجارة .

المصادر

1. ا.د. عبد الفتاح محمد محاضرات في فقه اللغة العربية
2. وافي، عبد الواحد *فقه اللغة* .القاهرة: دار نهضة مصر، 1971م.
3. أنيس، إبراهيم *في اللهجات العربية* .القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1960م.

4. حسن، تمام .*اللغة العربية معناها ومبناها* .القاهرة: عالم الكتب، 1985م.

5. مبارك، زكي .*فقه اللغة وخصائص العربية* .القاهر ة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1940م.

6. حجازي، محمود فهمي .*علم اللغة العربية* .القاهرة: دار غريب، 1994م.

7. حسين، محمد الخضر .*القياس في اللغة العربية* .القاهرة: المطبعة السلفية، 1956م.